معاول الهدم . . .

إذا أردنا إصلاح الأسرة وجب علينا أن نبحث أولا عن العوامل التى تسبب النزاع الزوجى، فنعالج مشاكل الأسرة بعلاج هذه العوامل التى تعتبر معاول الهدم ، وهذه فى اعتقادى خير وسيلة لمعالجة المشاكل التى نشكو منها ، إذ لا يمكن علاج الداء قبل البحث عن مواطنه .

فاذا نحن بحثنا عن العوامل التى تسبب التفرقة بين الزوجين ، وتثير النزاع فى البيت ، وجدنا فى مقدمة هـذه العوامل عدم التوافق بين الزوجين ، واختلاف نظرة كل منهما الى الحياة ، فما يبدو فى نظر الزوج رذيلة يجب النهى والنأى عنها ، تعده الزوجة فضيلة يجب التمسك بها ، وما يعتبره الزوج نافلة لا ضرورة اليه ، يبدو فى نظر الزوجة فرضا لا بد منه ، وباختلاف نظرة كل منهما الى الأمور ، وتباين آرائهما ، ينشأ النزاع الزوجى ويدب الخلاف وتكثر المناقشة والمجادلة دون أن يقتنع أحدهما برأى الآخر أو يؤمن به ، وهذه بوادر الانفصام ، إذ أن التوافق الروحى بين الزوجين ، شرط من الشروط التى يجب توافرها ، ومن واجب كل زوج وزوجة ، أن يحرص على تعرف ميول شريكه ، ليستطيع أن يرضيه دائما ، وأن يتجنب ما يثير سخطه وغضبه ، وأن يعمل كل منهما من جانبه على بقاء الصفاء العائلى وعدم تكديره بالنزاع ، فان كلمة طيبة من أحد الطرفين ، قد تزيل أسباب سوء التفاهم ، وتقرب وجهتى النظر ، وتعيد الهدوء والصفاء ... كما أن كلمة جارحة يعثر بها اللسان فى ساعة من ساعات الغضب ، قد تكون حدا فاصلا بين الزوجين ، وهنا يجب أن أشير الى أن من واجب الزوجين أن يعملا فيما بينهما على تسوية كل خلاف ينشأ بروح مشبعة بالمحبة ، والحرص على بقاء عرى الزوجية .

ومن أسباب عدم التوافق بين الزوجين ، اصرار بعض الأسر على عدم السماح لطالب الزواج برؤية خطيبته قبل إتمام مراسم الزواج ، وهذه فكرة خاطئة ، وخيمة العاقبة ، إذ أن الشرع الحنيف قد أباح لطالب الزواج رؤية عروسه قبل الزواج لأنها الشريكة التى ستقاسمه الحياة ، فيجب أن يأنس كل منهما فى شريكه التوافق ، والا كانت حياتهما جحيما ، لاختلاف الآراء ، وتباين الميول ...

* * *

ويلعب المال دورا خطيرا فى مشاكل الزواج ، فهذا رجل يقترن بفتاة طمعا فى مالها ، فاذا ما تم الزواج ، أو بعبارة أقرب الى الصحة والواقع ، إذا ما تمت الصفقة ، ولمست الزوجة طمع الزوج فى ثروتها دب الخلاف بينهما ، وانتهى الأمر إلى الفراق ...

وهذا الزوج آتاه الله بسطة فى المال ، ولكنه لا يحسن التصرف فيه ، فينفق بسخاء فى أبواب لا تستحق الإنفاق ، بينما يغل يده عن النواحى الهامة ، فتضيق الزوجة ذرعا بالحياة ، وتنفصم عرى الزوجية ...

وهذه زوجة تسرف فى إرهاق زوجها بطلباتها ، حتى إذا ما أخل يوما فى ناحية من النواحى انقلب حبها بغضا ، وقلبت له ظهر المجن ...

وهذا زوج يريد أن يحرم زوجته من كل شىء ، ويخشى أن يؤول إليها بعض ثروته ، فيقترن أخرى تستأثر بثرائه ...

وهذه زوجة تريد أن تنفق كل دخل الزوج ، خشية أن يبقى للزوج ما يشجعه على الزواج من غيرها ، فلا يجد الزوج سبيلا إلا بالتخلص منها ...

وهذا زوج يعيش مع زوجته عيشة الكفاف ، وهى راضية قانعة ، حتى إذا ما بسط الله له فى الرزق طغى وكبر ، وتزوج من غيرها ، ونسى حق الزوجة التى قاسمته الضراء ، وشاركته المحن ، ووقفت إلى جانبه فى ساعة العسرة ...

وهكذا نرى المال فى أحايين كثيرة نقمة على الرجل أو المرأة ، فلا نغلو حين نعتبر المال معولا من معاول الهدم والتقويض .

* * *

ومن أهم العوامل التى تسبب النزاع الزوجى اشتراك الزوجين فى المسكن مع أهل الزوج أو أهل الزوجة مما يثير نزاعا لا ينقطع ، وهذه مشكلة من المشاكل التى يجب أن تحسب لها حسابا كبيرا ، واستقلال الزوجين فى المسكن يجعلهما فى مأمن من هذا النزاع الذى يهدد حياتهما ، وإذا لم يكن فى مقدور الزوج الاستقلال فى المسكن فلا أقل من ضرورة الاستقلال فى حياته الداخلية : منعا للنزاع .

* * *

وتنازع السلطة عامل آخر من عوامل النزاع بين الزوجين ، فالزوج يريد أن يكون صاحب الكلمة العليا فى البيت والزوجة تريد أن تفرض سلطانها وتبسط نفوذها لتشعر وجودها ، وهنا تتصادم الرغبتان ، وفى مقدور الزوجين تقسيم الاختصاص فيما بينهما تقسيما يكفل احترام كل منهما للآخر ، منهما شريكان متضامنان ، يتعاونان على ما فيه إسعاد البيت وهناؤه .

* * *

أنتقل بعد ذلك إلى التحدث عن عامل آخر من عوامل الهدم فى كيان الأسرة ، وهو أثر الوشايات والأكاذيب التى يختلقها الناس ، والاشاعات الباطلة التى تطلقها ألسنة السوء والمكايد التى يدبرها من لاخلاق لهم من الأصدقاء ، فكم من زوجة بريئة راحت ضحية اشاعة كاذبة ، وكم من بيت تقوض بمماول الأصدقاء ! .

والوشايات والاشاعات الكاذبة من أقبح الرذائل المتفشية فى مجتمعنا . نخلقها ، ونزخرفها ، ثم نروجها ، ونشيعها هنا وهناك . فى المجالس والمنتديات . تلتقطها الآذان ثم تذيعها الألسن فى كل مكان ، دون أن تتحرى حقيقتها ، أو تتبين صحتها .

أعراض الناس مضغة فى الأفواه . توصم وتلوث وينسب إليها ما هى منه براء. وأسرار البيوت تذاع وتفشى دون حساب ! .

هؤلاء المنافقون يدخلون البيوت باسم الصداقة الزائفة ، فيفرقون بين المرء وزوجه ، ويترددون على البيت حتى إذا ما حانت لهم الفرصة نفثوا سمومهم ، وقوضوا صروح الزوجية.

حذار من هذا اللون من الأصدقاء ! .

وأوصدوا فى وجوههم الأبواب .

* * *

تأتى بعد ذلك مشكلات أخرى ، فالزوج يشكو عدم اهتمام الزوجة بشؤون البيت وتدبيره واعتمادها على الخدم الذين لا يحسنون التصرف اعتمادا كليا ، وهو محق فى ذلك ، لأن الزوجة مطالبة برعاية البيت وتدبير شؤونه ، والزوجة تتبرم من انصراف الزوج عن البيت وتمضيته معظم الوقت خارجه ، وهى محقة فى ذلك ، والزوج يشكو من اسراف الزوجة فى تدليل الأبناء وتشجيعهم على اللعب فى غيبته ، والزوجة تشكو من سوء تصرف الزوج فى الانفاق وايثاره الكمالى على الضرورى ، وكلها مشاكل يستطيع كل منهما علاجها بشىء من الحكمة والتبصر ، حرصا على بقاء عرى الزوجية ، وعدم انفصالها .

ومن الحقائق التى يجب ألا تغيب عن أذهاننا ان الأبناء هم الضحية دائما فى كل مأساة زوجية ، وهم أول من من يتحدر إلى الهاوية ويتجرعون كأس الذل والمهانة .

هؤلاء الأبناء الأبرياء هم الذين يدفعون الثمن . ويدفعونه غاليا باهظا . لأنهم يدفعون حياتهم ثمنا فى المأساة . فهم التركة المشتركة بين خصمين كانا بالأمس القريب شريكين فأصبحا خصمين . هم التركة الحائرة ، كريشة فى مهب الريح ، لا تعرف لها مستقرا ، فقد يخطفها الطير ، أو تهوى بها الريح فى مكان سحيق .

لهم الله هؤلاء الأبرياء ، الذين يخرجون إلى الحياة ليستقبلوا النزاع ، ولا ذنب لهم ولا جريرة .

لهم الله هؤلاء التعساء الذين أظلمت الدنيا فى وجوههم ، وراحوا ضحية الحمق والجهل ، يخفى عليهم أقرب الناس إليهم . . وأساء إليهم أعز الناس عليهم ! ! ...

* * *

هـذا عرض سريع لأهم مشاكل الأسرة ، ووسائل علاجهـا ، أرمى من ورائه إلى تحديد مواطن الداء ، فان تحديد مواطن الداء وتشخيصه خير ما يقربنـا من أهداف الإصلاح ... .

عيسى متولى

" ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون " .

"من الذكر الحكيم"